الكتابة فى العصر الجاهلى

إن المقصود بالتدوين الكتابة ، وقد عرفت العرب الكتابة فى العصر الجاهلى ، واستعملوها فى بعض أغراضهم وتشهدّ بذلك نقوشهم التاريخية ، وأشعارهم التى تعد ديوانًا صادقًا ومعبرًا عن حيوات العرب الجاهليين ولقد حفل شعرهم بالإشارات إلى الكتابة وأدواتها ، وذلك خير شاهد على معرفتهم للكتابة فى ذلك العصر .

يقول الشاعر امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجانى ... كخط زبور فى عسيب يمانى[1]

ويقول أيضًا :

أتت حجج بعدى عليها فأصبحت ... كخط زبور فى مصاحف رهبان[2]

ويقول أيضًا :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق ... خلا عهده بين الصليب فمطرق[3]

أكب عليه كاتب بدواته ... وحادثة فى العين حدة مهرق

ويقول « طرفة بن العبد البكرى » :

كسطور الرق رقشه ... بالضحى مرقش يشمه[4]

---

(١) الديوان ص ٨٥ ت محمد أبو الفضل إبراهيم . . ط الثانية دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤م فى عسيب يمان كان أهل اليمن يكتبون فى عسيب لتجلة عهودهم وصكاكهم .

(٢) ذاته ص ٨٩ .

(٣) الأصمعيات لأبى سعيد عبد الله بن عبد الملك ت وشرح الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط دار المعارف بمصر دون تاريخ .

الصليب بضم الصاد ومطرق موضعان حادثة جديدة كأنه يحدد فى عينه . المهرق الصحيفة وإنما أراد كتابًا فى مهرق اتساعا منه فى الكلام .

(٤) الديوان والأمالى ٢/ ٢٤٦ .

ويقول أيضًا :

الـدار قـفـر والرسـوم كمـا رقش العنـوان فى الـرق كاتـب[1]

ويقول أيضًا :

الـدار وحش والرسـوم كمـا رقـش فى ظهـر الأديم قـلم[2]

ويقول الأخفش بن شهاب التغلبى :

لابنـة حطـان بن عـوف منازل كما رقش العنوان فى الرق كاتب[3]

ويقول « لبيد بن ربيعة » :

وجلا السيوف عن الطلول كأنها زبـر تجـد متونهـا أقلامهـا[4]

ويقول أبو ذؤيب :

برقـم ووشـم كمـا نمنمت بمشـمها المزدهـاة الهـدى

وهذه الأمثلة وتلك الشواهد من الأبيات لدليل حاسم على معرفة العرب للكتابة فى العصر الجاهلى حيث إننا نجد فيها إشارات إلى أدوات الكتابة كالأقلام ، والأديم ، والعسيب والصحف ، « بيد أن هذه الكتابة لم تكن شائعة ، ولم تأخذ صفة الظاهر ، وإنما كانت تتمثل فى أعداد قليلة فى المدن ، وأقل من القليل فى الصحراء »[5] .

ونرى الأستاذ (محمد فريد وجدى) يحدد عدد القارئين الكاتبين فى الجزيرة كلها بما لا يزيد عن تسعة عشر ، منهم اثنان أو ثلاثة فى مكة[6] .

---

(١) الديوان .

(٢) الأغانى ٦ / ١٢٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣) ذاته .

(٤) الديوان .

(٥) من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى د/ سعد ظلام ص ٤١ .

(٦) نقد الشعر الجاهلى للأستاذ محمد فريد وجدى ص ٦١ .

ولا يكاد يخلو حجر فى جنوبى الجزيرة العربية وقلبها وشمالها من نقش تذكارى نقشه كتاب محترفون ، أو غير محترفين من الرعاة ، ورجال القوافل ، يذكرون فيه أسماء القوافل ، ويذكرون فيه أسماء آلهتهم متضرعين إليها أن تحميهم ، وقد يذكرون ما يقدمون إليها من قرابين ، وقد يكتبونها على قبورهم مسجلين أسماءهم ، وأسماء عشائرهم ، وما قام به الميت من أعمال وقد يودعونها بعض قوانينهم وشرائعهم ، وقد وجدت بعض هذه النقوش للعرب الجنوبيين ، تدل على وجود الكتابة عند أهل اليمن منذ ألف عام على الأقل قبل الميلاد ، كما عثر فى آثار الشماليين على نقش النمارة ، والذى يرجع تاريخه إلى سنة (٣٢٨م) وهو مكتوب بخط مشتق من الآرامى[١] .

وذلك النقش اكتشفه دوسو ، و (ماكار) سنة (١٩٠١م) على بعد ميل من (النمارة) القائمة على أطلال معبد رومانى شرقى جبل (الدروز) بالقرب من الأماكن التى عثر فيها على الكتابات الصفوية ، وقد كتب شاهداً لقبر ملك الملوك اللخميين يسمى (امرأ القيس بن عمرو) وأرخ بشهر (كسلول) من سنة (٢٢٣) بتقويم (بصرى) وهو يوافق شهر (كانون الأول) ديسمبر من سنة (٣٢٨م) .

وقد يودعونها بعض قوانينهم وشرائعهم ، وقد تم العثور على بعض هذه النقوش للعرب الجنوبيين والشماليين ، الدالة على معرفتهم للكتابة آنذاك .

يقول (كارل بروكلمان) كان أهل اليمن يعرفون الكتابة ويستعملونها فى نقش الآثار الدينية والقانونية على الحجارة منذ ألف عام على الأقل قبل الميلاد ، ولا ندرى هل استعملوها أيضًا فى أغراض الحياة الخاصة أو فى تسجيل الفن الكلامى بوجه خاص على مواد أكثر تعرضًا للتلاشى والضياع من الحجارة ؟ وليست أراضى الشمال فى نجد وتهامة غنية بالنقوش والآثار الكتابية مثل بلاد الجنوب ، وإن وجدت دلائل على بعض اتجاهات الحياة الدينية فى النقوش المسماة تسمية غير دقيقة بالنقوش الثمودية واللحيانية وكذلك فى النقوش الصفوية على مقربة من دمشق ، وكلها مكتوب بخط قريب من خط الألف باء اليمنى قبل الإسلام بزمن طويل ، وقد نصب حجر تذكارى سنة (٣٢٨م) على

(١) تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ١/ ٦ ط الخامسة دار المعارف بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣م نقله إلى العربية د/ عبد الحليم النجار بتصرف .

قبر امرئ القيس بن عمرو اللخمى فى (النمارة) من بلاد سورية وهو مكتوب بخط مشتق من الآرامى ، وربما كان هذا الخط مستعملاً حينذاك فى أغراض الحياة من شئون التجارة وغيرها ، ولعل عباد الحيرة النصرانيين كتبوا جانبًا من أشعار شعرائهم أيضًا بهذا الخط[1] .

وذلك النقش (النمارة) اكتشفه (دوسو) و (ماكلر) سنة (١٩٠١م) على بعد ميل من (النمارة) القائمة على أطلال معبد رومانى شرقى جبل (الدروز) بالقرب من الأماكن التى عثر فيها على الكتابات الصفوية ، وهو مؤرخ بشهر (كسلول) من سنة (٢٣٣) بتقويم (بصرى) وهو يوافق شهر (كانون الأول) ديسمبر من سنة (٣٢٨م) .

وهذا نصه :

أولاً : تى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج .

ثانيًا : وملك الأسدين ، ونزو ، وملوكهم ، وهرب مذحجو عكدى وجا .

ثالثًا : يزجى فى حجيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنبيه .

رابعًا : الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

خامسًا : عكدى . هلك سنة (٢٢٣) يوم (٧) بكسلول بلسعد ذو ولده .

ويلاحظ أن الكاتب بدأه فى السطر الأول بكلمة (تى) .

ويشار بها للمؤنث ، حيث إنها داخلة على كلمة (نفس) .

ولعلها هنا بمعنى (جسد) واستخدام (ذو) بمعنى : (الذى) وهى لغة معروفة بين بعض القبائل مثل (طىء) كما أنه استخدم كلمة (أسر) بمعنى (عصب) و (عقد) وهو من معانيها فى المعاجم العربية ، وقد حذف الألف من كلمة (التاج) ولم يكونوا يثبتونها يومذاك ، وليس فى هذا السطر كله لفظة غربية سوى لفظة (بر) التى استخدمها الكاتب بمعنى (ابن) وهى آرامية ، وفى السطر الثانى يضيف (واوًا) إلى (تدرو) و (مذحجو) وفقًا للكتابة النبطية التى تضيف إلى الأعلام (الواو) أما (عكدى) فلعلها (عكديًا) فحذفت منها (الألف) وفى المعاجم اللغوية (العكد) (القوة) ويريد بالأسدين قبيلتى (أسد) .

---

(١) تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ١/ ٦ ط الخامسة دار المعارف بالقاهرة ، سنة ١٩٨٣م نقله إلى العربية د/ عبد الحليم النجار بتصرف .

ثم نراه فى السطر الثالث يستخدم كلمة (يزجى) من الفعل (زجا) بمعنى (دفع) أى باندفاع ، ومعنى (حجج) فى المعاجم اللغوية (أشرف) وكأنها استعملت فى النص مصدرًا بمعنى (شارف) أو حدود ، وشمر من الملوك الحميريين ، واستخدم كلمة ونزل بنية الشعوب بمعنى جعلهم على الشعوب ، وفى السطر الرابع ووكلهن بإضافة نون التوكيد إلى الفعل بعد الضمير ، ومعنى العبارة ووكله الفرس والروم ، وفى السطر الخامس (بلسعد ذو ولده) أى ليسعد الذى ولده .

والنص يمثل طورًا من أطوار اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم فكلماته جميعًا عربية ما عدا كلمة (بر) الآرامية ، واستخدمت فيه (أل) أداة للتعريف ، وكتابته مع التقريب للغتنا اليوم تكون كالآتى :

هذه نفس قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذى عقد التاج باندفاع (بانتصار) فى مشارف نجران مدينة شمر ، وملك معدا ، وولى بنيه الشعوب ، ووكله الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه فى القوة هلك سنة (٢٢٣) يوم ثامن كسلول ، ليسعد الذى ولده[1] .

ولهذا النص أهمية تاريخية بعيدة حيث إنه يحدثنا عن ثانى ملوك الحيرة جدود المناذرة ، ويذكر أنه ملك قبيلتى ، أسد ، ونزار ، وملوكهم وشتت قبيلة مذحج وانتصر على جموع نجران ، ولعل هذه أول إغارة ثابتة تاريخيًا لعرب الشمال على عرب الجنوب ومدينتهم نجران ، ثم هناك دلالة أخرى ، إذ يقول : هذا الملك ، ملك العرب كلهم

(١) راجع نقش النمارة فيما يأتى :
١ - تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ١/ ٢٣و ٣٤ مراجعة وتعليق د/ شوقى ضيف ط دار الهلال سنة ١٩٥٧م .
٢ - الوصف فى الشعر العربى للأستاذ عبد العظيم على قناوى ١/ ٣١ .
٣ - مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص٢٧ ، ٢٩ ط دار المعارف بمصر .
٤ - العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص٣٥ وما بعدها .
٥ - من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى د/ سعد ظلام ، ص١٥ وما بعدها .
٦ - تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ١/ ٦٣ ط ، دار المعارف بمصر .
٧ - دراسة فى مصادر الأدب للدكتور : الظاهر أحمد مكى ط دار المعارف ، القاهرة .

وتلك ولا ريب أول محاولة فى إيجاد وحدة سياسية للعرب الشماليين بعد أن دمر الرومان دولتهم فى (بطرا) و (تدمر)[١] .

وبعد نقش النمارة بثمانين عامًا ومائة نلتقى فى (زبد) الواقعة جنوبى شرق حلب ، بنقش وجد على باب أحد المعابد هناك ، أرخ سنة (٥١٢م) ثم نقش (حران اللجا) الذى عثر عليه فى الشمال الغربى لجبل الدروز جنوبى دمشق ، وهو مؤرخ بسنة (٥٦٨م)[٢] .

كما كانت العهود والمواثيق فى غالب الأحيان تدون تسجيلاً لها لتكون أقوى ارتباطًا ، وأشد إلزامًا ، ومن ذلك صحيفة (قريش) التى علقوها فى جوف الكعبة[٣] .

كما كانت الرسائل تبعث مكتوبة كالصحيفة التى وجهها (عمرو بن هند) ملك الحيرة إلى عامله بالبحرين فى شأن (طرفة) و (المتلمس)[٤] .

وكان (طرفة) قد دعاه نزق الشباب أن يهجو الملك(عمرو بن هند) على اضطراره إلى رضائه ، وافتقاره إلى حبائه وكانا يركبان معه للصيد فيركضان طول النهار فيتعبان على بابه النهار كله ، ولم يصلا إليه فضجر طرفة فقال فيه :

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثًا حول قبتنا تخور

لعمرك إن قابوس بن هند ... ليخلط ملكه فوك كثير[٥]

وقال أيضًا :

ولا خير فيه غير أن له غنى ... وأن له كشحًا إذا قام أهضما[٦]

تظل نساء الحى يعكفن حوله ... يقلن وعسيب من سرارة ملهما

فبلغ ذلك (عمرو بن هند) فاحتقدها عليه ، وأضمر له السوء حتى إذا جاء ما خاله

---

(١) العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ، ص٣٧ بتصرف .

(٢) ذاته .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٥ .

(٤) ديوان طرفة بن العبد ص ١٣ .

(٥) بلوغ الأرب للألوسى ٣/ ٣٧٤ نشر محمد جمال - المكتبة الأهلية بمصر .

(٦) ذاته .

(المتلمس) يستجديانه فضله ، وكان (المتلمس) قد هجاه أيضًا هش (عمرو) للقائهما يريد أن يؤمنهما ، وأمر لكل منهما بصلة وأحالهما بكتابين على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ، فلما كانا فى طريقهما إلى العامل داخل (المتلمس) من الصحيفة وسواس وهم ، فالتمس من يقرأها له فإذا فيها باسمك اللهم من عمرو بن هند إلى المكعبر ، إذا أتاك كتابى هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، ثم ادفنه حيًا ، فألقى الصحيفة فى النهر ، ثم قال :

قذفت بها فى اليم من جنب كافر ... كذلك أقنو كل قط مضلل

رضيت لهما بالماء لما رأيتها ... يحول بها التيار فى كل جدول[1]

ثم قال لطرفة ، ادفع إليه صحيفتك فإن فيها مثل هذا ، فقال : كلا لم يكن ليجترئ على ! وأخذ وجهه حتى أتى العامل بالبحرين فقتله وعمره ست وعشرون سنة ، ثم خاطبه (المتلمس) بقوله :

أبا المنذر كانت غرورًا صحيفتى ... ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضى

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض[2]

وقد رثته أخته لأمه (الخرانق بنت بدر بن هفان) فقالت :

عددنا له ستًا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدًا فخمًا

فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليدًا ولا قحما[3]

ومن ذلك أيضًا القصيدة التى أرسلها (لقيط بن يعمر الأيادى) والذى كان كاتبًا فى ديوان (كسرى) حين علم أن (كسرى) مجمع على غزو (إياد) فكتب إليهم

---

(١) بلوغ الأرب للألوسى ، نشر محمد جمال - المكتبة الأهلية بمصر ، ص ٣/ ٣٧٥ .

(٢) ذاته . الرعوث : كل مرضعة ، تخور : تصيح . النوك : الحمق . الكشح : الخصر . الأهضم : الدقيق . النصيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . السرارة : خيار الشىء وصفوته . ملهم : موضع كثير النخل . شبه كشحه الأهضم بجريدة نخل من خيار نخل هذا المكان . أقنو : أتخذ . القط : الصك تكتب فيه الجائزة . التيار : الموج . الجدول : النهر الصغير .

(٣) الديوان طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

هـذه القصـيـدة ينذرهم بما يتهـددهم من خطـر ، وهى قـصـيـدة طـويلة ، وفى آخـرها يقول :

هذا كتابى إليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا[1]

وكتب (عبد المطلب) أسماء أبنائه العشرة على القداح ، وقدم مائة درهم وجزور لمن يضرب القداح عند (هبل) كما جرت بذلك العادة وقتئذ ؛ حيث جمعهم وأخبرهم بنذره ، ودعـاهم إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه وقـالوا : كيف نصنع ؟ فقال : ليأخذ كل رجل منكم قدحًا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتونى ففعلوا)[2] .

ويذكر لنا (الجاحظ) فى كتابه (الحيوان) ما يدل على أن العرب فى الجاهلية قد عـرفـوا الكتـابة واستـخـدمـوها ، فـيـقـول : (لولا الخطوط لبطلت العـهـود والشـروط ، والسجلات ، والصكاك ، وكل إقطاع ، وكل اتفاق وكل أمان وكل عهد وعقد ، وكل جـوار وحلف ، ولتـعظيم ذلك والثـقـة به والاستناد إليـه كـانوا يدعـون فى الجـاهلـيـة من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيمًا للأمر ، وتبعيدًا عن النسيان ولذلك قال الحارث ابن حلزة فى شأن بكر وتغلب :

واذكـــر حلف ذى المجـــاز وما قـــدم فيـــه العهـــود والكفـــلاء
حـــذر الجـــوار والتعـــدى وهـــل بنقص ما فى المهارق الأهواء؟[3]

وأكبر شاهد على وجود الكتابة فى العصر الجاهلى ، تلك الكتب التى أرسلها النبى ﷺ إلى الملوك والرؤسـاء يدعـوهـم فيـهـا إلى الإسـلام ، ثم كـتـاب الوحى الذين كـانوا يكتبون ما ينزل على الرسول ﷺ من القرآن الكريم .

كل هذه الشواهد دليل حاسم على أن الكتابة كانت معروفة لدى العرب الجاهليين . ونحن نرى أنه مع وجود الأدلة الحاسمة على وجود الكتابة والقراءة فى العصر الجاهلى من خلال شعرهم ونقوشهم وما سوى ذلك من البراهين ، فإن الكتابة لم تكن ظاهرة

---

(١) شعر الحرب . د/ على الجندى ص٢٨٨ ط دار المعارف القاهرية .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٤٠ تعليق ط عبد الرءوف سعد نشر مكتبة الكليات الأزهرية .
(٣) الحيوان للجاحظ .

شائعة معروفة لدى الأغلبية العامة ، كما أن وجود من يقرأ ويكتب ليس دليلاً على أن المجتمع الجاهلى انتشرت فيه القراءة والكتابة بالمعنى المعروف لدينا الآن ، فقد كانت موجودة ولكنها بندرة ، وبخاصة البدو ، وأهل النجعة والارتحال وانعدام الوسائل التى يكتب بها العربى ، وعلى إساس ذلك كان من الشعراء من يعرف القراءة والكتابة ، والبعض الآخر لا يعرفها ومن بين الذين عرفوا القراءة والكتابة من الشعراء :

(عدى بن زيد العبادى) و (لقيط بن يعمر الإيادى) و (عبد الله بن رواحة) و (كعب بن مالك) و (الربيع بن زياد) و (لبيد بن ربيعة)[1] و (المرقش الأكبر) كان يعرف الكتابة لأن أباه دفعه وأخاه (حرملة) إلى نصرانى من أهل الحيرة علمهما الخط ، وقد كتب أبياتًا على مؤخر الرحل حين دنا أجله وتآمر صديقه (العقيلى) وامرأته على تركه يأسًا من شفائه فكتب يقول :

يا صاحبى تلبثا لا تعجلا ... إن الرواح رهين أن لا تعدلا

يا راكبا إما عرضت فبلغن ... أنس بن سعد إن لقيت وحرملا

من مبلغ الأقوام أن مرقشًا ... أضحى على الأصحاب عبئًا مثقلا[2]

ولم يكن الرجال وحدهم هم الكاتبين القارئين ، وإنما كان بعض النساء كذلك يكتبن ، ومنهن : الشفاء بنت عبد الله العدوية ، من رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكانت الشفاء كاتبة فى الجاهلية ، وهى التى علمت الكتابة للسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج الرسول ﷺ[3] .

وكثرة كاثرة منهم لم تعرف الكتابة والقراءة ولم تهتد إلى سبلها ، ومن بين هؤلاء (طرفة بن العبدى البكرى) و (المتلمس) حيث رأينا كلاهما يحمل صحيفة فيها الأمر بإعدامه ، ولقى (طرفة بن العبد البكرى) حتفه بسبب[4] ذلك ، ونحن لا نمانع فى أن

---

(١) الأغانى ٦/ ٩٤ ، والمفضليات للضبى ص ٣٤٤ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ١/ ١٥٦ و ١٤٧ .

(٣) فتوح البلدان لصاحبه أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ط مصر سنة ١٠٩١م بتصرف .

(٤) الأغانى ٦/ ٩٤ والمفضليات للضبى ص ٣٤٤ .

يكون من هؤلاء أى الذين عرفو القراءة والكتابة أصحاب الحوليات الذين اشتهروا بتجويدها ، وتنميقها (كزهير بن أبى سلمى المزفى) .

ويبدو أن فكرة تدوين الآثار الأدبية قديمة لدى العرب ، يقول : (حماد الراوية) إن ملك الحيرة (النعمان بن المنذر) المتوفى سنة (٦٠٢) أمر فنسخت له أشعار العرب فى الطنوج وهى - الكراريس - ثم دفنها فى قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبى عبيدة الثقفى ، قيل له : إن تحت القصر كنزاً فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار ، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة[١] .

ويشك بعض الباحثين فى هذه الرواية ، وحجتهم أن الراوى لها (حماد الراوية) وقد اشتهر بالدس والسرقة ، وأنه اختلق تلك الرواية ليفضل بها أهل الكوفة على البصريين ونحن إلى هذا الرأى نميل . بيد أن الدكتور على الجندى يعتقد أن مضمون القصة يغلب عليه أن يكون صحيحًا ، فمن الطبعى أن يعتز الملوك والسادة الكبار بما قيل فيهم من مدائح ، وما لهم من آثار ، فيعملوا على تسجيلها وتدوينها لتظل خالدة[٢] .

وفى ذلك يقول ابن سلام الجمحى : وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بنى مروان أو ما صار منه[٣] .

وقد ورد أنه فى زمن (الوليد بن عبد الملك) تولى الخطاط (خالد بن الهياج) كتابة المصاحف والشعر والأخبار للخليفة المذكور ، كما أن الخليفة (الوليد بن يزيد) أمر بجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها ، وأنسابها ولغاتها[٤] .

وكما كان فى الأدباء من يقرأ ويكتب ، كذلك كان من بين الرواة من يعرف الكتابة والقراءة : يقول الجاحظ : يروى عن أبى عمرو بن العلاء أن كتبه ملأت بيتًا له إلى قريب

---

(١) المزهر للسيوطى ١/ ١٤٨ .

(٢) فى تاريخ الأدب الجاهلى د/ على الجندى ص ١٤٢ بتصرف .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ١٦ المطبعة المحمودية الكبرى .

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٩١ ونرى ابن النديم يذكر خالداً هذا فى موضع آخر ويقول : إنه صاحب على رضى الله عنه ولعله هو نفسه عاش حتى زمن الوليد وكتب له .

من السقف ثم إنه تقرأ[1] فأحرقها كلها ، فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه[2] وجاء فى الأغانى (أرسل الوليد بن يزيد راويه حماد ، فاستملاه وتحفظه)[3] .

هذا طرف من الأخبار التى تدل على تدوين بعض الآثار الأدبية فى العصر الجاهلى .

يقول الدكتور (سعد ظلام) وإذا كانت الصحراء نبع هذا الفن الشعرى ، وقد عرفنا أنه لم تكن الكتابة شائعة فيها عرفنا مدى الجهد الذى بذل فى الحفاظ على الشعر ، وأدركنا أيضًا الضياع الذى نال منه وأتى عليه . ثم يستطرد قائلاً : ولهذا لم يستخدم العرب الكتابة فى تدوين أشعارهم . ولو أنهم فعلوا ذلك لوجدنا من الرواة من يذكر أنه نقل عن قرطاس مكتوب فى الجاهلية ، أو يزعم أن شاعرًا جاهليًا كان قد ألقى قصيدته من صحيفة مكتوبة .

ونحن إلى هذا الرأى نميل حيث لا توجد إية إشارات من قريب أو من بعيد فى أشعار الجاهليين تذكر إنشاد شاعر لقصيدة من قصائده من قرطاس مكتوب ، أو أن راوية نقل عن ديوان دون فيه شعر فلان ، وهم الذين سجلوا فى أشعارهم ما يدل على أنهم عرفوا الكتابة والقراءة ، كما أنهم ذكروا أدواتها وبخاصة إذا عرفنا أن جمع الشعر العربى لم يبدأ إلا فى عصر الأمويين ، ولم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدى العلماء فى عصر العباسيين[4] .

وقد كان اعتمادهم فى الإنشاء والرواية على الذاكرة الحافظة ولذلك لم يصل من نتاج هذه القرائح الصافية إلا القليل بالنسبة للنتاج الوفير ، وما لديهم من قدرة على الإنشاد والقول .

---

(١) تقرأ : تنسك وانقطع للعبادة .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٢ .

(٣) الأغانى ٦/ ٩٤ .

(٤) تاريخ الأدب العربى : كارل بروكلمان ١/ ٦٥ ط الخامسة ، دار المعارف بمصر .

يقول الجاحظ : وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ، وإلى رجز الخصام ، أو حين يمتح على رأس بئر ، أو يحدو ببعير أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صراع أو فى حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذى إليه يقصد فتأتيه المعانى إرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحدًا من ولده[1] .

وما قيل من أن المعلقات سميت بهذا الاسم لأنها كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة ، فإن ذلك لم يثبت صدقه ، حيث إن الرسول عليه السلام دخل مكة وحطم الأصنام التى كانت حواليها ومع ذلك لم يصل إليها عن طريق الرواية ؛ أو كتب السيرة والتى سجلت هذه الأحداث ، أن الرسول عليه السلام أو أحدًا من أصحابه رضى الله عنهم وجد معلقة ، أو جزءًا من معلقة أو بيتًا من الشعر مكتوبًا فى ورقة أو قرطاس .

وأقرب الأقوال إلى العقل أنها سميت بذلك لأنها من أجود ما أنشدته العرب وهلوقها بالنفس ، وذلك لجودتها وقوتها ، ومتانة نسجها .

وبخاصة أن القرآن والسنة لم يدونا إلا بعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، وذلك دليل على أن العرب لم يكونوا على علم بالجمع والتدوين ، أضف إلى ذلك صعوبة وسائل الكتابة آنذاك ، فقد كانت على جلود الحيوان أو سعف النخيل ، أو عظام الحيوان العريضة ، أو الحجارة . إذا عرفنا ذلك تأكد لدينا بما لا يدع مجالاً للريبة ، أن الشعر الجاهلى وصل إلينا عن طريق الرواية الشفوية وحفظ الأذهان له ، وظل كذلك إلى عصور التدوين .

يؤيد ذلك أن جميع ما عثرنا عليه من الكتابة الجاهلية كان نقوشًا على الحجر والصخر ، وكان سطوراً قلائل ، بل كلمات معدودات ، ولم نعثر على كتابة جاهلية على

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ٢٦ ط الرابعة - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م تحقيق حسن السندوبى مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

الرق أو البردى مثلاً كثيرة السطور والكلمات[1] ، وكانت عبارة عن كلمات غير منقوطة ، وذلك ناجم عن اطمئنان الكاتب إلى أن كلماته بمنجاة من التصحيف والخلط فى القراءة لأنها أسماء أعلام وسنوات ، وكلمات بينهما من اليسير معرفتها وربما كان مما يسوغ له إهمال النقاط فوق ذلك صعوبة فنية ، ومشقة عملية فى النقش[2] .

ويقول صاحب (العقد الفريد) : « أنه لم يكن أحد يكتب بالعربية حين جاء الإسلام إلا بضعة عشر نفراً »[3] .

والقرآن الكريم وصف العرب فى جاهليتهم بأنهم أميون ، وورد ذلك فى ثلاث آيات هى :

أولاً : قوله تعالى :

﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ**[4] **ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ** ﴾ .

ثانيًا : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾[5] .

ثالثًا : ﴿ **هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ** ﴾[6] .

بيد أن هذا الوصف بالأمية لا يعنى - فى رأينا - الأمية الكتابية ولا العلمية ، وإنما يعنى الأمية الدينية ، أى إنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب دينى ؛ ومن هنا كانوا أميين دينيًا ، ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كان لهم التوراة والإنجيل ، ومن الأدلة التى نسوقها ، للاحتجاج لهذا الرأى ، أن القرآن الكريم قد وصف فريقًا من أهل الكتاب بالأمية ، فقال تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ**

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ص ٤٠ ط دار المعارف .
(٢) ذاته . بتصرف .
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤/ ٤٢ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ٧٥ .
(٦) سورة الجمعة ، الآية ٢ .

إلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

فأمية هذا الفريق ليست زمية كتابية حيث إنه أخبر سبحانه أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ، وإنما هى أمية دينية ، أى جهل بالدين وإنكار له وعدم تصديق ، ومن أجل هذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما هاتين الآيتين فيما رواه ابن جرير الطبرى بإسناده إليه قال : « ومنهم أميون » الأميون ، الذين لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ، ولا كتابًا أنزله الله ، فكتبوا كتابًا بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سفلة جهال ، هذا من عند الله وقال : «قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله»[2] .

وأما قوله ﷺ : (إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب) فلا ينقض ما قدمنا من رأى وذلك لأنه قال ذلك فى حديث الصيام عند رؤية الهلال ، وللحديث بقية وهو كاملاً : (إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب الشهر هكذا وهكذا) فهذا الحديث لا يعنى إلا ضربًا خاصًا من الكتابة والحساب ، ألا وهو حساب سير النجوم ، وتقيد ذلك بالكتابة لمعرفة مطلع الشهر ، فهذا من العلم المدون المسجل القائم على الحساب والتقويم ، والذى لم يكن للعرب عهد به .

ومن هنا علق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم فى معاناة حساب السنين ، والحديث لا ينفى الكتابة والحساب نفيًا عامًا شاملاً ؛ لأن عرب الجاهلية قد كانوا يكتبون ويحسبون ، وإنما ينفى أن يكون ذلك نظامًا عامًا متبعًا فى كل الشئون كما كان ذلك لدى بعض الأمم الأخرى ذات التقاويم الفلكية[3] .

ولكى نزيد الأمر وضوحًا نورد نصًا (لابن فارس) وهو بصدد الحديث عن بعض الأعراب الذين لا يحسنون الكتابة فيقول : (فأما من حكى عنه من الأعراب الذين لم

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) تفسير الطبرى ٢/ ٢٥٨ ، تحقيق الأستاذ محمود شاكر . وانظر كتاب المرأة فى الشعر الجاهلى د/ أحمد محمد الحوفى ، ص٣٣٣ وما بعدها .

(٣) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص٤٩ بتصرف .

يعرفوا الهمز ، والجر ، والكاف ، والدال فإنا لم نزعم أن العرب كلها مدراً ، ووبراً ، وقد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها ، وما العرب فى قديم الزمان إلا كنحن اليوم ، فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة)[1] .

فنرى (ابن فارس) يؤكد أن بعض العرب فى الجاهلية كان يعرف القراءة والكتابة معرفة دقيقة ، وليس معنى ذلك أن العرب كلها مدراً ووبراً عرفت القراءة والكتابة بالمعنى الذى نعرفه فى عصرنا الحاضر ، بل إنه يقرر حقيقة مؤكدة وواقعة وهى أن العرب كبقية الناس ، وأن مجتمعهم ككل المجتمعات فليس كل فرد يعرف القراءة والكتابة والخط ، بل إنك واجد من يجيد القراءة والكتابة والخط ، وبعض آخر لا يعرف حرفًا من كلمة أى إنها لم تكن ظاهرة شائعة ومنتشرة يومذاك .

وتلك حقيقة من الحقائق المقررة غير المنكورة وكذلك الأمر فى صدر الإسلام ، ثم يقرر معرفتهم بعلوم اللغة من قواعد وعروض .

ويقول الدكتور[2] : ناصر الدين الأسد ومع أن ابن فارس قيد كلامه هذا بقوله (فإنا لم نزعم أن العرب كلها ، مدراً ووبراً ، قد عرفو الكتابة كلها ، والحروف أجمعها ، وما العرب إلا كنحن اليوم فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة نقول : مع أن ابن فارس قيد كلامه ، وحصر معرفة العرب بهذه العلوم فى أهل المدر والبيئات المتحضرة ، إلا أننا فضلاً عن ذلك تستبعد أن يكون العرب حتى أهل المدر منهم قد عرفوا النحو والعروض من حيث هما علمان لهما مصطلحات ، وقواعد بالمعنى الذى عرفه المسلمون بعد ذلك ، والأرجح أن ابن فارس يقصد أن العرب كانوا يعرفون من أمر النحو ومن العروض ، وعيوب القافية ما يستطيعون به أن يميزوا الصحيح من الخطأ ، وما أصبح بعد ذلك أساسًا لعلمى النحو والعروض ، فإن كان ابن فارس يعنى الذى قدمناه فإننا نحب أن نضيف إلى ما أورده أمثلة أخرى تسند أمثلته وتقويها .

فمن أمثلة ما ذكره عن معرفة الجاهليين بالعروض ما أورده (ابن سعد والزمخشرى) فى حديث إسلام أبى ذر الغفارى ، وذلك قول أبى ذر : قال لى أخى

(١) الصاحبى لابن فارس ، ص٨ وما بعدها .

(٢) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ط دار المعارف بمصر ، ص٤٨ .

(أنيس) إن لى حاجة بمكة ، فانطلق ، فراث ، فقلت : ما حبسك ؟ قال : لقيت رجلاً على دينك يزعم أن الله أرسله ، قلت فما يقول الناس ؟ قال : يقولون : ساحر كاهن شاعر وكان (أنيس) أحد الشعراء فقال : « والله لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلا يلتئم على لسان أحد »[١] .

ومثل ثان لمعرفتهم بالعروض وعيوب القافية ما ذكره أبو عبيدة ، قال : حدثنى أبو عمرو بن العلاء ، قال : فحلان من الشعراء كانا يقويان (النابعة ، وبشر بن أبى خازم) فأما النابغة فدخل (يثرب) فغنى بشعره ، ففطن فلم يعد إلى إقواء ، وأما (بشر) فقال له (سوادة) أخوه إنك تقوى ، فقال له ، وما الإقواء ؟ فى رواية أخرى فقال له أخوه (سمير) أكفأت وأسأت ، فقال : وما ذاك[٢] .

ثم يعلق الدكتور ناصر الدين الأسد بقوله : إذًا القوم كانوا يعرفون الإكفاء والإقواء ، وإن جهله أحدهم ، أو بعضهم فاحتاج إلى من يذكره .

ومثل ثالث وهو تلك القصة التى جرت بين النابغة وحسان بن ثابت ، حين قال النابغة لحسان ، أقللت جفانك وأسيافك ، وذلك حين أنشد حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى وأسيافنا يقرن من يخذه دمًا

وذلك لأن لفظة (أسيافًا) جمع لأدنى العدد ، والكثير (سيوف) و (الجفنات) لأدنى العدد ، والكثير (جفان) فهل كان (النابغة) يعرف جموع القلة وجموع الكثرة ؟ لست أدرى لم ننكر عليه بالمعنى الذى أوضحناه ، إلا أن يكون إنكارًا ضربًا من ضروب تجهيل الجاهلية[٣] .

ونحن نرى أن معرفتهم ببعض عيوب القافية ، وعلمهم بالشعر ونقده كما ورد فى الامثلة التى ذكرناها انفًا وأوردناها دليلاً على معرفتهم لهذه العيوب إنما كان ذلك طبيعيًا ، وبالفطرة ، والسليقة ، حيث إن اللغة لغتهم وهم سدنة البيان ، وأرباب البلاغة

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ١ وما بعدها والفائق ص٥١٨ .

(٢) الموشح للمرزبانى ، ص٥٩ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلى د/ ناصر الدين الأسد ، ص٤٩ ، ٥٠ ، ط دار المعارف ، القاهرة .

والفصاحة وقد مرنوا على التمرس بالأساليب القوية ، واستخدام الألفاظ الجزلة والفخمة ، وكما يقول (الجاحظ) وكل ذلك كان للعرب بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ، ولا مكابدة ، ولا إجالة فكر ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام[1] .

وهم أيضًا أصحاب القرائح الصافية ، والأذهان المتقدة ، والفكر الناضج ، وحسبنا أن نزل القرآن الكريم بلغتهم ، فهم فرسان البيان ، وأمراء البلاغة فلا غرو أن ينقد شاعر آخر ، أو يفطن إلى ما يوجد فى شعره من عيب كالإقواء ، والإكفاء ، أو أن يوجهه إلى ما ينبغى أن يكون كما حدث مع (النابغة وحسان) حيث قال النابغة لحسان : « أقللت جفانك وأسيافك » .

وليس بالضرورة أن يكون (النابغة) عالمًا بجموع قلة ، والكثرة ، وعارفًا لها كقاعدة نحوية ، وما المانع من أن يكون فطن إلى ذلك بذوقه الأدبى ؟ والذوق أساس من الأسس التى يعتمد بل يقوم عليها علم (النقد الأدبى) وهى أداة أساس من أدوات الناقد ، وسلاح هام من أسلحته .

يقول ابن خلدون : (أعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان) ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان ، فالمتكلم بلسان العرب ، والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب ، وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده ، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة فى نظم الكلام على ذلك الوجه ؛ وسهل عليه أمر التركيب ، حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التى للعرب ، وإن سمع تركيبًا غير جار على ذلك المنحى مجه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر ، وبغير فكر إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة ، فإن الملكات إذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل[2] .

ثم يستطرد قائلاً : وهذه الملكة إنما تحصل بممارسة كلام العرب ، وتكرره على السمع ، والتفطن لخواص تركيبه[3] .

(١) البيان والتبين للجاحظ ٣/ ٢٦ ، تحقيق حسن السندوبى ط الرابعة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص٥١٥ .
(٣) ذاته ، ص٥١٦ .

هذا بالنسبة للناقد المتمرس بالأساليب العربية المتفطن لخواص تركيبها فملكة البلاغة فى اللسان تهدى البليغ إلى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب فى لغتهم ، ونظم كلامهم ، ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعينة ، والتراكيب المحفوظة لما قدر عليه ولا وافقة عليه لسانه ، لأنه لا يعتاده ، ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده ، وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أساليب العرب وبلاغتهم فى نظم كلامهم أعرض عنه ومجه ، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم[1] .

إذا كان ذلك يحصل للمتمرس بأساليب العرب ، فما بالك بالعرب أنفسهم وهم أصحاب اللغة ، وأمراء البيان ، والإحساس المرهف ، والطبيعة الملهمة ، إذاً فلا غرو أن يفطن أحدهم إلى عيب فى شعر شاعر مثل ما أومأنا إليه آنفًا ، فذلك طبعهم ، وتلك سجيتهم .

كما أنه ليس دليلاً على أنهم كانوا ، أو حتى بعضهم يعرف شيئًا عن قواعد النحو والعروض ، وإن جاء بعد ذلك النحو والعروض مؤيدين لكلامهم ، ومعضدين لقولهم ، كما أنه ليس بتجهيل للجاهلية ، وإنما هو النصفة والحق ، وبخاصة أن الشعر موسيقى ، وتذوق ، وإحساس ، وعاطفة وشعور ، فإذا ما جاءت كلمة قلقة ، أو بمنأى عن مكانها ، أو بيت معوج فإنك ترى أصحاب الأذواق السليمة ، والأحاسيس المرهفة تمج ذلك ، وتنفر منه بمجرد مصافحته للأذن .

كما أن وجود المعلمين فى الجاهلية أمر ثابت ومنصوص عليه ، ومن بين هؤلاء المعلمين « عمرو بن زرارة » و « غيلان بن سلمة بن مغيث » وقد أسلم يوم الطائف ، والطائف هى التى أخرجت بعد « غيلان يوسف بن الحكم الثقفى » وابنه الحجاج المعلمين فيها ، وقد كان للطائف شهرة بالتعليم وبخاصة قبيلة « ثقيف » الأمر الذى جعل عمرو بن الخطاب رضى الله يتخذ كتبة المصحف من قريش وثقيف ، ودعا « عثمان ابن عفان » إلى أن يقول « اجعلوا المملى من هذيل ، والكاتب من ثقيف » وجاء الإسلام

(١) أسس النقد الأدبى عند العرب د/ أحمد بدوى ، ص٨٥ ، ٨٦ ، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة .

وفى الأوس والخزرج عدة يكتبون ، وذكر الطبرى أنه : (حين ترك خالد بن الوليد الأنبار رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها[1] فسألهم من أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا ، فكانت أوائلهم نزلوها أيام (بخت نصر) حين أباح العرب ، ثم لم تزل عنها ، فقال : ممن تعلمتم الكتاب ؟ قالوا تعلمنا الخط من (إياد) وأنشدوه قول الشاعر :

قومى إياد لو أنهم أمم ... أو لو أقاموا فتهزل النعم

قوم لهم باحة العراق إذا ... ساروا جميعًا والخط والقلم[2]

ويقول ياقوت الحموى : إن خالدًا بن الوليد لما خرج إلى (عين تمر) وجدوا فى كنيسة صبيانًا يتعلمون الكتابة فى قرية يقال لها (عين تمر) وكان فيهم (حمران) مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه[3] ويروى أن عديًا بن زيد العبادى حين نما وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب حتى حذق العربية[4] ، وكانت كذلك للعلم مجالس فى الجاهلية يتدارس الناس فيها الأشعار والأنساب والأخبار ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « كانت قريش تألف منزل أبى بكر رضى الله عنه لخصلتين ، العلم والطعام ، فلما أسلم رضى الله عنه أسلم عامة من كان مجالسه »[5] وخير شاهد على ذلك القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد أنبأنا بذلك فى عدة آيات نذكر بعضًا منها للتدليل على صدق ما أومأنا إليه ، قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[6] .

وقوله عز وجل :

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/ ٢٠ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٤/ ٢٠ طبع دار الفكر - بيروت ، لبنان .

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموى « نفرة » .

(٤) الأغانى ٢/ ١٠١ .

(٥) البيان والتبين للجاحظ ٤ : ٧٦ .

(٦) سورة الفرقان ، الآية ٥ .

﴿ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(١).

وقوله تعالى :

﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾(٢).

وعلى أساس ذلك من فداء أسرى غزاه بدر الكبرى حين أذن النبى ﷺ لمن كان كاتبًا قارئًا أن يفدى نفسه بتعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ، فذلك دليل على أن هذا الأمر لم يكن حالة فردية فى الأسرى بل كانوا جماعة . وأما الأحاديث فهى كثرة كاثرة ، نذكر منها على سبيل المثال ، لا الحصر ، ما ورد فى سيرة ابن هشام من حديث (سويد بن الصامت) يقول ابن هشام قدم (سويد بن صامت) أحد بنى عمرو ابن عوف مكة حاجًا أو معتمرًا فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له (سويد) فلعل معك مثل الذى معى ، فقال رسول الله ﷺ : وما الذى معك ؟ قال « مجلة لقمان »(٣) يريد كتابًا فيه حكمة لقمان(٤) فقال رسول الله ﷺ : أعرضها على ، فعرضها عليه ، فقال له : « إن هذا لكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله على هو هدى ونور ، فتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه وقال إن هذا القول حسن ، ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج(٥) .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٩٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) الفائق للزمخشرى ١/ ٢١ .

(٤) لسان العرب لابن منظور مادة « حلل » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٨ وتهذيب سيرة ابن هشام ، ص٩٣ وما بعدها ، ت الشيخ عبد السلام محمد هارون .